طليعة المقاومة الاسلامية في فلسطين

طليعة المقاومة الاسلامية في فلسطين

جدير بنا ونحن في تصاعد حركة المقاومة الاسلامية في فلسطين، أن نقف قليلا عند تاريخ انبثاق هذه الحركة، وطلائعها الذين دفعوا حركة النضال الفلسطيني إلى مقاومة إسلامية رسالية تواصلت عبر العقود، وازدات جذوتها اشتعالاً حتى يومنا هذا.

كان الحوار الفكري والسياسي في السبعينات في أوساط بعض الشباب الفلسطيني أثناء دراسته الجامعية في مصر يتحول إلى مناخ سياسي انبثقت عنه نواة تنظيمية تأسيسية قادها الدكتور فتحي إبراهيم الشقاقي الذي كان قد دخل مصر طالبًا في العام 1394هـ/1974م واستمر فيها حتى العام1401هـ/ 1981م.

وانبثق أول تنظيم عرف بتنظيم «الطلائع الإسلامية». وعرّف بنفسه ورسالته باعتباره «قوة تجديد داخل الفكر الإسلامي وداخل الحركة الإسلامية على مستوى الفكرة والمنهج والتنظيم وعلى مستوى الأداء داخل فلسطين».

قام تنظيم الطلائع آنذاك بنشاطات تربوية وسياسية وإعلامية عديدة، إذ أصدر نشرة داخلية بعنوان التغيير إضافة إلى بعض الكراسات الخاصة بقضايا الفكر والسياسة سواء المتعلقة بالخلاف مع الإخوان المسلمين أو شؤون القضية الفلسطينية، كما قام الشقاقي ورفاقه في جامعة الزقازيق بإصدار مجلة حائط بعنوان الفرسان ردًا على مجلة الشيوعيين التي سميت بـ الجياد. وفي 1400هـ /16-12-1979 أصدر الشقاقي كتابه الأول الخميني الحل الإسلامي والبديل إثر انتصار الثورة الإسلامية في إيران تأييدًا لها ودعوة إلى التأسي بتجربتها، واعتقل إثر ذلك عدة أيام ثم أعيد اعتقاله في العام نفسه في سجن القلعة.

وتكشف التنظيم عن غلبة الأنشطة الفكرية والإعلامية، وشكّلت مجلة المختار الإسلامي المصرية (على مدار 27 شهرًا تولى رئاسة تحريرها بشكل سري الشهيد الشقاقي) المنبر الإعلامي لأفكار وأطروحات حركة الجهاد في كافة قضايا الفكر والسياسة والجهاد.

كذلك اهتمت حركة «الجهاد» آنذاك بنشر المجلات والنشرات السياسية والثقافية فحركت أجواء واسعة من الجدل السياسي والثقافي لم تشهده الساحة الفلسيطينية داخل الأراضي المحتلة، وأصبحت قضية فلسطين ومستقبلها وصراع الخيارات الإيديولوجية حولها مثار نقاش دائم. كذلك حرص التيار الجهادي على إصدار مجموعة من الكتيبات ضمن سلسلة دفاتر إسلامية وسلسلة نحو طلائع إسلامية واعية، وأعاد طبع كتب عدة لمفكرين إسلاميين مترافقًا هذا النشاط النشري والإعلامي بالندوات الدينية ودروس العلم والدعوة والتثقيف في المساجد والبيوت والجامعات.

«من خلال مستوى احتجاجي عال، ودافع قوي وحركية اجتماعية أفلح هؤلاء الشبان في احتلال مواقع مؤثرة في المجتمع الفلسطيني» فعمليًا كانت غالبيتهم من ذوي الدرجات العلمية في ميادين الطب والتكنولوجيا والعلوم الطبيعية والقانون والتربية والعلوم الإسلامية.

فكانت حركة الجهاد تخرج الجماهير إلى صلاة العيد في «العراء» في تظاهرة دينية سياسية لم تكن تخفي دلالتها على أحد، مما دفع سلطات الاحتلال لاحقًا إلى مداهمة مصلّى العيد ومنع الصلاة في العراء (خارج المساجد) بقوة السلاح. إضافة لحرص على الاحتفال بيوم القدس العالمي في آخر أسبوع من شهر رمضان، وفق إعلان الإمام الخميني، فكان يتم حشد الناس في مهرجانات واحتفالات في ساحات المسجد الأقصى الذي تؤمه عشرات الآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني لإحياء ليلة القدر من كل عام.

منذ البداية كان الجهاد المسلح ضد الاحتلال الصهيوني هو المبرر الأساس لتشكل حركة الجهاد الإسلامي

ونهوضها، وعلى أهمية الإسهامات الفكرية التي قدمتها الحركة والخط السياسي المختلف الذي تبنته، إلا أن الجهاد المسلح كان الرافعة الأهم لحركة «إسلامية فلسطينية نهضت لتشكل إضافة جديدة، ولتحل الإشكالية التي كانت قائمة بين وطنيين بلا إسلام، وإسلاميين بلا فلسطين» وتقوم من ثم بتطبيق شعارها الذي دعته بـ «الاستراتيجي» في رؤيتها للقضية الفلسطينية ومواجهة «الظاهرة الإسرائيلية» شعار «القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للحركة الإسلامية المعاصرة» لتجسده عملا عسكريًا ضد الاحتلال.

يذهب الشقاقي إلى أن تنظيم الخلايا المسلحة بدأ منذ صيف العام 1401هـ/1981م، وطوال الأعوام 1403، 1404، 1405هـ/1983، 1984، 1985م، وكان العمل المسلح يبدأ تدريجيًا وبطيئًا وفي سرية تامة ومراد الشقاقي هنا هو تنظيم خلايا مسلحة وتدريبها وجمع السلاح لها، هذه الخلايا التي لم تفلح التحقيقات أثناء اعتقالات «الطلائع الإسلامية» عام 1403هـ/1983م في كشفها.

في 1406هـ/الثامن من مارس/ آذار 1986م اعتقلت السلطات الإسرائيلية الدكتور الشقاقي وللمرة الثانية بتهمة علاقته بالمجموعة المسلحة التي كان قد مر أسبوعان على آخر عملية عسكرية نفذتها الحركة في ساحة فلسطين بميدان غزة في 1406-4-6هـ/ 1986-12-8م وتمثلت في هجوم بالقنابل على تجمع للجنود الصهاينة ردًا على استشهاد شاب فلسطيني (العكلوك) في نفس الساحة قبل يوم واحد.

وقد كشف اعتقال الشقاقي ورفاقه عن ثماني عمليات عسكرية نفذتها الحركة منذ العام 1404هـ/ 1984 وكان آخرها عملية ساحة فلسطين وقد حكم على الشقاقي إثر هذه الأنشطة أربع سنوات بتهمة تهريب السلاح إلى القطاع والتحريض على العنف.

وأما ما كان يخشاه الاستراتيجيون الإسرائيليون من امتزاج الوطنية الفلسطينية بالبعد الديني، فقد كان واضح التحقق من خلال البيانات الأولى للجهاد الذي كان يعطي كل مقاومة درجة من الطاعة الدينية والقداسة الإسلامية معتبرين أن «كل كلمة أو حركة أو عمل مهما كان حجمه ونوعه، يمكن أن يغيظ العدو ويؤذيه فهو عبادة لابد من تأديتها»، كما حافظت الحركة في بياناتها الأولى على وسم تعليماتها بالفتاوى الدينية، فقد أوردوا النص السابق كفتوى شرعية، كما نسبوا فتوى لمن أسموهم بـ «العلماء المجاهدين» مفادها أنه «لا يجوز قطعًا تسديد الغرامات المالية لصالح خزينة الكفار، والتي تعود رصاصًا من جديد إلى صدورنا وقلوبنا»، مؤكدين أن إرادتهم النضالية تنبع من إرادة ا وأن الإسرائيليين بذلك يحاربون ا.

«على عكس «الجهاد» فإن الإخوان (المسلمين) لم يشاركوا في الانتفاضة خلال أشهرها الأولى واستمروا في

برنامجهم لتصحيح السلوك الاجتماعي للمسلمين بينما تشتعل الانتفاضة من حولهم.

وفي أغسطس/ آب 1988، اتخذ الشيخ أحمد ياسين أكثر قادة الإخوان تأثيرًا وقوة قرارًا تاريخيًا وأعلن عن تأسيس «حماس» وتشير كثير من الدراسات إلى الأثر البارز لإيديولوجيا الجهاد الإسلامي وأعمالها العسكرية في قرار تأسيس حركة حماس».

تحية إلى الفصائل الإسلامية المقاومة على أرض فلسطين، ونحن واثقون أن النصر حليفهم حتما: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

الشؤون الدولية